مقتل الملكة مارى ستيوارت

أخذ المحققون من علماء التاريخ فى إماطة اللثام عن مأساة من أشد المآسي نكرا وأكثرها غموضاً ، رفعت فى القرن السادس الميلادى وكانت ضحيتها مارى ستيوارت ملكة إيقوسيا وزوجها هنرى ستيوارت (لورد دارنلى) ؛ وما يزال هؤلاء العلماء المحققون مكبين على وثائق هذه المأساة يقلبونها درساً وفحصاً ، ويعثرون فيها بحثاً وتنقيباً ، ولحسن حظ التاريخ ، قد عنى الانجليز ، منذ وقوع هذه المأساة ، بجمع وثائقها وإيداعها المتحف البريطانى ، محافظة على آثار ذلك العهد ، وصيانة لذكرياته المحزنة المفجعة .

وقد أدى بحث هذه الوثائق ومنها محاضر التحقيق فى قضية اتهام الملكة مارى استيوارت إلى حقائق مؤثرة أثارت اهتماما كبيراً فى الدوائر العلمية والتاريخية ، وحملت كثيرين من العلماء على التفكير تفكيراً جديا فى إعادة النظر فيما وصل إلى أيديهم من سيرة القرون الغابرة والعهود الماضية

فلقد كانت مارى ستيوارت ملكة على إيقوسيا وكان زوجها هنرى ستيوارت (لورد دارنلى) شريفا من أشراف الانجليز ، أحبه الشعب واطمأن إليه ، وحدث ذات ليلة أن نسف جناح القصر الذي يسكنه فتطايرت أشلاء اللورد فى الهواء فاتهمت الملكة بالمؤامرة على قتله والفتك به للتخلص منه وإخلاء الطريق لعشيقها إرل بوتويل أحد كبار الاشراف فى الجزر البريطانية

وتألفت لجنة من كبار اللوردات الانجليز وتولت تحقيق هذه القضية فاعتقلت إرل بوتويل ، وبيقولا هيوبارت الخادم الخاص للملكة وكان معروفا بلقب (فرنش باريس) لأنه فرنسي الأصل كما اعتقلت غيره من أفراد الحاشية والبلاط الملكي وبعد تحقيق وجيز حكمت عليهم وعلى الملكة مارى ستيوارت نفسها بالإعدام ونفذت فيهم الحكم

أما الأدلة التى بنت عليها هذه اللجنة أو المحكمة الخاصة حكمها ، فهي عبارة عن شهادة (فرنش باريس) وقد انتزعت منه قسرا ودونت على أنها اعترافات أدلى بها دون إكراه أو ضغط ولأهمية هذا الشاهد فى هذه المأساة يصح أن نذكر شيئاً عن سيرته وتاريخ حياته ، فقد كان خادما عند إرل بوتويل حتى سنة ١٥٦٧ ثم دخل خدمة الملكة قبيل مقتل لورد دارنلى فأصبح خادمها الخاص وحامل رسائلها الخاصة إلى سكرتيرها أو إلى غيره من ذوى علاقات وثيقة بالملكة وظل كذلك إلى أن وقعت الجريمة

وقد نقل لنا (سيسل) المؤرخ المعروف فقرات من اعترافات فرنش باريس فى يومياته التى نشرها عن هذه القضية مستمدا معلوماته من وثيقتين محفوظتين الآن بالمتحف البريطانى ومحررتين باللغة الفرنسية بيد كاتب ملبة التحقيق . وها نحن ننقل هنا أهم ما فى هذه الفقرات

يوم ٥ فبراير — نقلت الملكة طول الليل فى الغرفة الواقعة تحت غرفة الملك (لورد دارنلى) حيث تم وضع البارود وتسلم الخادم (باريس) مفتاحها

يوم ٩ فبراير — تناولت الملكة العشاء هذه الليلة مع إرل بوثويل وأسقف الجزر ، ثم ذهبت مع حاشية مؤلفة من أرجيل ، وهاتلى ، وبوثويل إلى الجناح الخاص بالملك وظلوا جميعاً يلهون بالحديث حتى أعد بوثويل ورفاقه كل شىء ، وحتى تسلم (باريس) البارود ثم صعد إليهم وأعطى لهم الاشارة المصطلح عليها ، فغادروا القصر جميعاً إلى حفلة زفاف (باستيان) خادم الملكة ومكثوا هناك إلى الساعة الحادية عشرة مساء ، ثم عادوا إلى الكنيسة وظلوا يتحدثون حتى منتصف الليل

يوم ١٠ فبراير — فيما بين الساعة الثانية والساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، انفجر البارود ، فنسف جناح الملك نسفا ، وأطار أشلاء الملك نفسه فى الهواء ، وهدم مسكنه من أساسه .

وعلى ضوء هذه الوثائق وما تحملت من مخطوطات أخرى نستطيع أن نلخص القضية كلها فيما يلى :

لما هزمت جيوش الملكة ماري فى واقعة (لانجسيد) فرت الملكة إلى انجلترا ولجأ بوثويل إلى سكاندناوه ، فألقى القبض على (فرنش باريس) وعدد كبير من خدم بوثويل إذ اتجهت إليهم الشبه بأنهم هم قتلة دارنلى) ثم أكرهوا على الاعتراف فاعترفوا واعترف باريس بما جاء بمذكرة سيسيل ملكة عليهم بالاعدام وأعدموا فعلا

وتنقسم اعترافات باريس إلى قسمين : اعتراف أدلى به فى يوم ٩ أغسطس سنة ١٥٦٩ ثم اعتراف أدلى به فى اليوم التالى فلم يرسل منهما إلى انجلترا سوى الاعتراف الأخير ليكون إذا استدعى الحال بمثابة دليل احتياطى على اتهام الملكة (١) أما اعتراف ٩ أغسطس فقد حجز لأنه لو تم للمحكمة اقام دليلا على اتهام الشريف (ميتلاند) الذى سافر خصيصا من إيقوسيا إلى انجلترا لاتهام الملكة ، وكلا الاعترافين فى مستوى واحد وفى مرتبة واحدة فاذا سقط أحدهما انهار الآخر

وقد نشر هذه الوثائق التاريخية لأول مرة فى القرن الثامن عشر ، المؤرخ كالدروود

(١) راجع جوردن . صفحة ٨٨ ـ الجزء الثانى

ويؤخذ منها أن باريس إستهل اعترافاته فى الوثيقة الأولى بالحادثات التى دارت بينه وبين بوتويل فى ركن بين بابين من قصر الملكة فى كرك أوفيلد .

وفى هذا الاعتراف قرر أن بوتويل قال له : « لقد اتفقنا فيما بيننا على نسف دارفل بالبارود » فرد عليه باريس بأن هذه نكبة ستكتسح الجميع ، فأسكته بوتويل وقال له : إن أرجيل وهانتى وسورتون وروتين والدسى وميتلاند يؤيدوننا وبخاصة الأخير منهم

ثم وصف باريس فى الشهر الثانى من اعترافاته كيف أدخل رغم إرادته فى يوم الاحد التالى جون هاى وجون هيبرن إلى جناح الملكة وكيف أحضر ثانيهما البارود ووضعه هناك وكيف غادرت الملكة بعدئذ القصر وذهبت إلى الاحتفال بقران خادمها سباستيان وبقى هو وبوتويل وهاى وهيبرن فى ركن بطرف حديقة الملك ولم يلبثا حتى انفجر البارود كما زعم القاصف فقروا جميعا إلى غرفة بوتويل فى الكنيسة حيث أخبرهم هذا بأن هذه الجريمة تقع على رأس نوردات الملكة لا عليهم .

أما الوثيقة الثانية فتتعارض وقائمها مع الوثيقة الأولى إذ قيل فيها إن المتآمرين الذين ذكرنا أسماءهم فروا إلى مخدع الملك حيث أوثقوه ثم أخبروا البارود ، وفيها اختلاف بين الساعات والتواريخ المذكورة بالوثيقة الأولى مما لا يدع مجالا للشك فى أن اعترافات (باريس) كاذبة استلت منه تحت تأثير الاكراه والتعذيب

ويتضح من الموازنة بين الوثيقتين ومن شهادة النوردات على الملكة واتهامهم إياها وتعذيبها فى سجنها أن الموضوع كله كان مؤامرة على الملكة أحكمها النوردات ، فنسفوا جناح الملك عندما كانت الملكة فى حفلة زفاف خادمها سباستيان ، ثم اتهموها بقتله وحكموا عليها بالاعدام.

وقد سجنت الملكة إيان الحاكم فى حصن جزيرة (لوخليفين) ففرت من سجنها بعد ان عذبت عذابا أليما تنشعر منه الأبدان ، ثم قبض عليها وسيقت إلى ساحة الاعدام

* * *

هذا موجز لتاريخ هذه المأساة الكبرى يتضح لك منه أن بعضا من أشراف انجلترا أرادوا الاستئثار بالسلطان والحكم الاوتقراطى فتآمروا على الملك حتى يستطيعوا اتهام الملكة هى وخلصائها للتخلص منهم وإفساح الطريق لشهواتهم ومطامعهم يشبعونها فى كنف الظلم والاستبداد

ثم يتضح لك منه أيضا أن الملكة ماري ستيوارت بريئة مما اتهمت به ، وان المؤرخين قد كذبوا واقترفوا حين جعلوا جرمها أمرا واقعا وحقيقة مسلما بها (طلحه)

فضائل القرآن الكريم

كتاب قيم ألفه حضرة الأستاذ ابراهيم جلال المدرس بالمنيا — وقد تفضل باهدائه إلينا فتصفحناه فألفيناه وافيا بالغرض الذى يرمى إليه مؤلفه . فنشكر للأستاذ جلال غيرته على الدين والقرآن الكريم ثم نشكره مرة أخرى على هذا الاهداء العظيم .